

النحو العربي بين رؤى الدارسين العرب والمناهج اللسانية الحديثة - قراءة في النظرية التوليدية التحويلية -

Arabic grammar between the visions of Arab scholars and modern linguistic-
approaches A reading of the transformative generative theory--

حاج إيمان

Hadj imane

البريد الإلكتروني : imane.hadj@univ-tebessa.dz

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة . (الجزائر)

تاريخ النشر: 2025/01/14	تاريخ القبول: 2025/01/03	تاريخ الإرسال: 2024/12/31
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

النحو العربي تطور على مر العصور، حيث اعتمد الدارسون العرب على قواعد ثابتة لحفظ بنية اللغة. مع ظهور اللسانيات الحديثة والنظرية التوليدية في القرن العشرين، بدأ النقاش حول ضرورة تعديل هذه الرؤى التقليدية. إذ انتقدت اللسانيات الحديثة النحو التقليدي لأسباب عديدة. أما النظرية التوليدية، التي اقترحتها تشومسكي أحدثت نقلة في فهم النحو من خلال التركيز على المستويات العميقة للغة. الدارسون العرب حاولوا دمج هذه النظريات الحديثة مع التراث النحوي. تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مدى التشابه بين النحو القديم والمناهج اللغوية الحديثة، وذلك من خلال الإجابة عن الإشكالية التالية: ما أوجه التشابه بين النحو العربي القديم والمناهج اللغوية الحديثة؟ وما أوجه الاختلاف بينهما، لا سيما مع النظرية التوليدية التحويلية.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات العربية، النحو العربي، المناهج اللسانية، النظرية التوليدية، التراث العربي.

Abstract:

Arabic grammar has evolved over the ages, as Arab scholars relied on fixed rules to preserve the structure of the language. With the emergence of modern linguistics and generative theory in the twentieth century, debate began about the necessity of modifying these traditional views. Modern linguistics has criticized traditional grammar for many reasons. The generative theory, proposed by Chomsky, brought about a shift in understanding grammar by focusing on the deeper levels of language. Arab scholars tried to integrate these

modern theories with the grammatical heritage. This study aims to shed light on the extent of similarity between ancient Arabic grammar and modern linguistic curricula, by answering the following problem: What are the similarities between ancient Arabic grammar and modern linguistic curricula? What are the differences between them, especially with the transformative generative theory?

Keywords: Arabic linguistics, Arabic grammar, linguistic approaches, generative theory, Arab heritage.

تمهيد:

النحو العربي يعد من أعرق العلوم اللغوية التي وضعها العرب لحفظ لغتهم وتفسير بنيتها، حيث اعتمد في نشأته على ملاحظة اللغة الفصحى وضبطها بقواعد معيارية تهدف إلى الحفاظ على سلامة التعبير العربي. وقد أسهم الدارسون القدامى في وضع قواعد تفصيلية، لكنها واجهت انتقادا لاحقا، خاصة من المحدثين الذين رأوا فيها جمودًا يتعارض مع طبيعة اللغة كظاهرة حية. مع ظهور المناهج اللسانية الحديثة، مثل النظرية التوليدية التي طورها تشومسكي، أعيد النظر في دراسة النحو من منظور أكثر شمولية وعلمية. هذه النظرية تسعى إلى تفسير العمليات العقلية التي تؤدي إلى إنتاج الجمل، ما فتح آفاقًا جديدة لفهم اللغة العربية بطريقة تختلف عن النهج التقليدي. بين هذا وذاك، برزت تساؤلات حول إمكانية الجمع بين أصالة النحو العربي وأدوات التحليل الحديثة لتحقيق فهم أعمق للغة العربية، وهو ما يشكل إشكالية جوهرية لهذه الدراسة.

1. النحو العربي في منظور الدارسين العرب:

يعد النحو العربي من أبرز العلوم اللغوية التي أسهمت في حفظ اللغة العربية. نشأ هذا العلم في ظل الحاجة الملحة إلى وضع قواعد تضبط الكلام العربي خاصة بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية واختلاط العرب بالأعاجم. وقد بني النحو العربي على أسس متينة، استمدت من لغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر الجاهلي، وكلام العرب. بمقدورنا أن نقول: "إن النحو وجد في مرحلته الأولى لهدف تعليمي، حيث كان أداة لاستقامة اللسان عربيا كان أم أعجميا"¹. كما عرفه القدامى من أمثال ابن جني: "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة والنسب والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد إليها"². وعليه، فالنحو عند القدماء علم يُعنى بضبط تصرف كلام العرب وفق قواعد الإعراب والبناء، مثل التثنية والجمع والتكسير وغير ذلك، بهدف تمكين غير الناطقين بالعربية من استخدامها بفصاحة وسلامة.

ونجد من المحدثين أيضا رأي في تعريف النحو، أذكر منهم تعريف فاضل صالح السامرائي: "هو علم يُعنى أول ما يعنى بالنظر في أواخر الكلم وما يعترِبها من إعراب وبناء، كما يعنى بأمور أخرى على جانب كبير من

الأهمية كالذكر والحذف، والتقديم، والتأخير، وتغيير بعض التغيرات غير أنه يولي العناية الأولى للإعراب، وهناك موضوعات ومسائل نحوية كثيرة لا تقل أهمية عن كل ما بحثه النحاة³. فالنحو وفق هذا التعريف هو العلم الذي يولي عناية رئيسية للإعراب، لكنه يشمل أيضا دراسة الظواهر النحوية الأخرى التي تسهم في فهم اللغة وإبراز معانيها.

قال ابن خلدون مؤكدا وظيفة النحو الحقيقية، إنَّ الأهم المقدم منها هو النحو، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الفائدة، فلذلك كان علم النحو أهم من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالمفاهيم جملة⁴. وعليه، يوضح أن النحو هو الوسيلة التي تجعلنا نميز بين العناصر الأساسية في الجملة مثل الفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر. فيتجاوز كونه مجرد قواعد شكلية ليصبح أداة لفهم النصوص واستيعاب المقاصد اللغوية، وهو بذلك يفوق أهمية اللغة ذاتها، لأن الجهل به يؤدي إلى إخلال عام في الفهم وإيصال الأفكار.

تأسيسا على ما سبق، عند القدامى يعد النحو أساسا لفهم اللغة العربية، حيث ركزوا على الإعراب والبناء لتوضيح المعاني وحفظ القرآن الكريم واللغة من اللحن؛ أما عند المحدثين توسعت دائرة النحو ليصبح أداة لتحليل البنية اللغوية وفهم المعاني بتفصيل أوسع، مع التركيز على ارتباطه بسياق الكلام وأثره في المعاني.

نتنقل الآن إلى الرأي المخالف للدارسين العرب الذين نفروا من النحو القديم، نذكر من بينهم:

الدكتور إبراهيم أنيس صاحب كتاب (أسرار العربية) الذي قال: "ما أروعها قصة لقد استمدت خيوطها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية، ثم حكيت ونم نسجها حياكة محكمة في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل الثاني، على يد قوم من صُنَّاع الكلام نشأوا معظمهم حياتهم في البيئة العراقية: ثم لم يكد ينتهي القرن الثاني الهجري حتى أصبح الإعراب حصنا منيعا امتنع حتى على الكُتَّاب والخطباء والشعراء من أصحاب العربية وشق اقتحامه إلا على قوم سمو فيما بعد بالنحاة⁵."

لا ننكر حقيقة تعقيد النحو القديم، لكنه بالغ في الانتقاد يطرح النحو القديم وكأنه فشل بالكامل أو غير مفيد. فالنحو القديم كان ضرورة تاريخية، وقد نجح في حفظ اللغة العربية من التحريف والاندثار، خاصة مع انتشار الإسلام ودخول غير العرب في الدين. فالنحو القديم لم يكن عائقا بحذاته، لكنه أصبح كذلك عندما تمسك البعض به بأسلوب جامد دون محاولة تيسيره أو تكييفه مع تطورات العصر. لذلك، ربما من الأفضل أن ننظر إلى النحو القديم كإنجاز تاريخي نستلهم منه، مع العمل على تطويره بما يناسب متطلباتنا الحالية. وهذا ما ذهب إليه بعض الدارسين العرب، نذكر منهم:

طه حسين الذي لم يبالغ في نقده للنحو القديم كما فعل إبراهيم أنيس إلا أنه دعا إلى تسيير قواعد النحو القديم بقوله: "أنا أطالب بتسيير قواعد النحو وتيسير الكتابة العربية وتصبح لغة شعوب حقا، ولكن من الناس من

كتبوا في هذه الأيام القريبة يطلبون إلغاء قواعد الإعراب، وتسكين أواخر الكلام لا لشيء إلا أنهم لم يتعلموا اللغة العربية حين كانوا تلاميذ في المدارس، لا لشيء إلا لأن النحو القديم والكتابة الموروثة والأساتذة الذين يعلمون بالنحو القديم والكتابة الموروثة عجزوا عن أن يجيئوا هذه اللغة إلى الكاتب الكبير وبغضوا إليه العربية الفصحى، وغرسوا في نفسه هذا البغض وأصبح الآن لا يكره شيئا، كما يكره التكلم بهذه اللغة، ولا يتحرّج أن يطالب بإلغاء قواعد الإعراب وتسكين آخر الكلمات وجعل اللغة العربية الفصحى كأبي لهجة من اللهجات العامة"⁶.

وعليه، يدعو طه حسين بدلا من إلغاء الإعراب أو قواعد النحو، يمكن التركيز على تحديث مناهج النحو، وتبسيط طرق تدريسه، وربطه بتطبيقات عملية في الحياة اليومية. لكون الإعراب أداة أساسية لفهم النصوص العربية القديمة والحديثة بشكل دقيق، ستفقد العربية هويتها اللغوية. لذلك، المشكلة ليست في النحو بحد ذاته، بل في طريقة تقديمه، يجب أن يتحول النحو من علم جامد إلى مهارة تكتسب عبر التمارين والمهارة اليومية.

2. النحو العربي في منظور المناهج اللسانية الحديثة:

أطلق اللسانيون المحدثون على النحو التقليدي، ويوجهون إليه نقدا يمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

- تأثر النحو التقليدي بالفلسفة والمنطق من خلال نظرية العامل التي تعلل الظواهر النحوية بشكل عقلي، بينما يركز النحو الوصفية على وصف الظواهر اللغوية كما هي، دون فرض قواعد مسبقة أو اللجوء لتفسيرات غير لغوية.
- اعتماده على اجتهادات ذاتية تفتقر إلى المنهج العلمي الموضوعي، في حين يستند النحو الوصفي إلى منهجيات علمية مثل التحليل التوزيعي والمشجرات.
- يخلط بين مستويات التحليل الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، على عكس الوصفي الذي يميز بينها ويحدد مجال وزمن ومكان الدراسة بدقة.
- يتسم بنهج معياري يعتمد على نصوص مكتوبة قد لا تعكس اللغة المنطوقة، مما يؤدي إلى تأويلات بعيدة مثل تفسير "حتى" بما يناسب قواعده، في حين يتجنب النحو الوصفي هذه الإشكالات باعتماده على الواقع اللغوي الفعلي⁷.

وعليه، من خلال النقاط السابقة يمكن القول أنها تعبر عن نقد منهجي دقيق ومهم للنحو التقليدي، ويبرز جوانب القصور التي تجعل منه أقل قدرة على مواكبة التطور في اللسانيات الحديثة. التركيز على تأثر النحو التقليدي بالفلسفة والمنطق يُظهر كيف أنَّ هذا التوجه جعل من اللغة مجالا للتأويل والتعقيد، بدلا من دراستها كظاهرة طبيعية قائمة بذاتها. بالمقابل يُظهر الإشادة بالنحو الوصفي قيمته في تقديم منهجية علمية تقوم على وصف الظواهر اللغوية كما هي، مع الالتزام بالواقع اللغوي وعدم إخضاعه لتفسيرات غير مبررة. بالإضافة إلى

تميز المنهج الوصفي في جوانب مثل التمييز بين مستويات التحليل، والاعتماد على أساليب علمية دقيقة، مما يجعله أكثر موضوعية ودقة. مع ذلك، يمكن القول إن النحو التقليدي له قيمته التاريخية، إذ وضع أسسا شكلت بداية دراسة اللغة بشكل علمي، رغم ما فيه من قصور.

صحيح، يمكن الأخذ بهذه الانتقادات إلى حد بعيد، لكن يجب التوازن في الحكم؛ فالنحو التقليدي ساهم في تقعيد اللغة وتثبيت أصولها، وهو خطوة ضرورية تطورت لاحقا في إطار اللسانيات الحديثة التي تبنت منهجا أكثر علمية.

من جهة أخرى، دعوا إلى التحرر من المفهوم الضيق للنحو، بالفصل بين مفهومي النحو العلمي والنحو التعليمي، وإدراك العلاقة بينهما، فالنحو التعليمي هو مجموعة القواعد النحوية المنتقاة مما تم التوصل إليه في علم النحو (النحو العلمي)⁸. والنحو العلمي هو: "المعنى اللساني الحديث والمعاصر الذي يراد من خلاله مجموع القواعد الضابطة للنظام اللغوي، سواء ما تعلق بالمستوى الصوتي الوظيفي (الفونولوجي) أم المستوى الصوتي (المورفولوجي) أم المستوى النظمي التركيبي. وهو نفس المفهوم الذي نجده عند النحاة واللغويين الأوائل من أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي. وتلميذه سيويه حتى أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني"⁹.

قد اتخذت اللسانيات الوصفية من نقد الدراسات التقليدية للنحو مسوغا لمشروعيتها وأحققتها بتحويل مسار الدراسات اللغوية وتجاوز هنات اللسانيات التاريخية، خصوصا بعد أن وجدت أفكار اللساني دي سوسير رواجاً كبيراً وانتشاراً واسعاً في أوروبا بداية القرن العشرين. ومن النقائص التي استدركها الوصفيون الغربيون على النحو المعياري:

- الذاتية بمعنى تحديد القواعد وفقاً للدارس نفسه بناءً على فهم المعنى أولاً.
- التركيز على التعليل عند تفسير الظاهرة اللغوية اعتماداً على تصورات غير لغوية بدل من الملاحظة.
- اعتماد الجملة الخيرية أساساً لأقسام الكلم أدّى إلى إقصاء الأنماط الأخرى من الكلم واعتبارها أشكالاً منحرفة من الجملة الخيرية.
- اعتماد المنطق الأرسطي الخاص باللغة اليونانية في تحليل اللغات الأوروبية دون مراعاة خصوصية كل لغة.
- لم يميز النحو التقليدي بين التمثيل الصوتي والتمثيل الخطي للغة فخلط بين نظام اللغة المنطوقة ونظام اللغة المكتوبة.
- الخلط بين مستويات التحليل (الصرفي والنحوي والصوتي...) ¹⁰.

وعليه، اللسانيات الوصفية قدمت تحولات هامة في دراسة اللغة، حيث انتقدت النظرة المعيارية الصارمة التي تركز على القواعد الثابتة التي يعتمد عليها النحو التقليدي. من خلال النقائص التي تم ذكرها، يُظهر أن اللسانيات الوصفية تسعى لتوسيع حدود دراسة اللغة، معتبرة أن اللغة ليست مجرد بنية ثابتة بل هي ديمانيكية ومبنية على الملاحظة الموضوعية.

النقد الذي توجهه اللسانيات الوصفية للذاتية في تحديد القواعد يعد من أهم النقاط التي تكشف عن انغلاق النحو التقليدي، حيث كان يحدد بناءً على تصورات فردية. كما أن الإشارة إلى الاعتماد على المنطق الأرسطي يعكس التفريق بين اللغة اليونانية واللغات الأخرى، وهي نقطة تستحق التأمل في خصوص كيفية تطور النحو من ثقافة إلى أخرى.

والملاحظة التي تتعلق بالخلط بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة هي مسألة جوهرية، حيث أن اللسانيات الوصفية ركزت على الفهم العميق للغة كما هي في الواقع، وليس فقط في أشكالها المثالية والمقيدة بالكتابة.

وأجب بعض الدارسين على انتقادات أصحاب المنهج الوصفي للنحو العربي بما يأتي:

الأول: أن المنطق الأرسطي لم يكن معروفا معرفة كافية أيام الخليل وسيبويه، وهما صاحبا التأثير الحقيقي في النحو العربي. ومن غير المنطقي أن يتأثر النحو بمنهج أرسطو في المنطق؛ لاختلاف الغاية في كل منهما، لذا نجد الجملة التي هي معقد الدرس النحوي مختلفة اختلافا تاما عنها عند أرسطو¹¹.

الثاني: أن النحو العربي نشأ لفهم النص القرآني الكريم، ومن ثم كان توجه النحاة إلى النصوص الأدبية العالية - والشعرية منها بخاصة - لاستخلاص القوانين التي تدور عليها العربية التي نزل بها القرآن الكريم. ومع ذلك فإنَّ النحاة لم يأخذوا كل قواعدهم من النصوص العالية، بل اتصلوا بالحياة اللغوية بمعناها الواسع¹².

الثالث: أنَّ الاختصار على زمن ومكان معين لدراسة اللغة، صادر عن الغاية من نشأة الدراسة النحوية، وهي فهم النص القرآني الكريم، لذا كان البحث عن "نقاء" اللغة و"فصاحتها"، غاية من غاياتهم في الجمع اللغوي¹³.

3. النظرية التوليدية التحويلية وتطبيقاتها في تحليل النحو العربي:

النظرية التوليدية التحويلية، هذه النظرية اللسانية الحديثة التي حظيت بمكانة ورتبة هامة أهدتها لتحل الصدارة في الدرس اللغوي، نظرا لما قدمته من نتائج نظرية وتطبيقية حول طبيعة اللغة الإنسانية، وتنسب هذه النظرية إلى العالم اللغوي أفرام نعم تشومسكي، والحق أن تشومسكي قوَّض الدعائم التي يقوم عليها علم اللغة

الحديث، وأقام بناء آخر يختلف في أصوله لاختلاف نظرتة إلى طبيعة اللغة¹⁴. وكذلك بمنهج التحويلي الجديد وجّه إلى النحو الوصفي نقداً عنيفاً¹⁵.

فعلا، النظرية التوليدية التحويلية أحدثت ثورة في الدراسات اللسانية، حيث انتقلت من مجرد وصف الظواهر اللغوية كما كان سائداً في النحو الوصفي إلى محاولة فهم البنية العميقة للغة، أي كيفية تنظيمها في ذهن الإنسان.

المبادئ التي ينادي بها التحويليون، لا تختلف إجمالاً مع جاء به نحوُ العربية، فالنحو العربي يلتقي مع النظرية التحويلية في عدة جوانب، أولها صدور كل منهما عن أساس عقلي¹⁶.

استفاد تشومسكي من النحو العربي في بناء نظرية الربط العاملي، من نظرية العامل النحوي كنظرية عربية أصيلة، التي لقيت "نقداً عنيفاً من أصحاب المنهج الوصفي، نجدها تبعث من جديد في ثوب حديث في النظرية التوليدية التحويلية، حيث بلور وأفرد تشومسكي للعامل نظرية خاصة سمّاها نظرية الربط العاملي، وتنطلق هذه النظرية من منطلقين أساسيين هما: الأثر والمضمر، ولعل تشومسكي على هذين يحتاج إلى إعادة صياغة العنصرين والتفاعل بينهما هو الذي دفعه إلى أن يجعل منهما قاعدة كلية يفترض فيها أن العامل في المقول هو الفعل، والعامل في افعال هو مكا يسمى "الصرفة" التي تتضمن صفات التطابق والزمن والجهة¹⁷.

من المعلوم، العامل النحوي في النحو العربي هو فكرة أساسية في النحو العربي التقليدي تقول إن الكلمات أو الجمل تتأثر ببعضها البعض بسبب وجود عامل نحوي. تعرض للنقد من طرف أصحاب المنهج الوصفي الذي يعتمد على وصف اللغة كما هي دون افتراض قواعد مسبقة، انتقدوا نظرية العامل النحوي لأنهم اعتبروها افتراضاً غير ضروري يفرضه النحاة على اللغة بدلاً من الاكتفاء بوصف الظواهر اللغوية، مما يعني أنهم رأوا فكرة العامل ليست موجودة بشكل صريح في اللغة، بل هي مجرد أداة تحليلية أضافها النحاة لتفسير الظواهر.

في الثمانينات، أعاد تشومسكي فكرة مشابهة للعامل النحوي في نظريته المسماة "نظرية الربط العاملي"، التي تقول إن اللغة تحتوي على علاقات تربط بين العناصر اللغوية (مثل الكلمات والتركيب) بطريقة يمكن تفسيرها بناءً على "أثر" معين و"مضمر" (أي شيء خفي أو غير ظاهر). فهذه النظرية أعادت إحياء نظرية العامل ولكن بآليات حديثة تجمع بين التحليل العميق للعلاقات النحوية والاعتماد على قواعد كلية شاملة.

وعليه، تظهر النظرية التوليدية التحويلية، كيف يمكن للمناهج الحديثة أن تستلهم من النحو العربي أفكاراً أصيلة مثل "العامل النحوي". وهذا الإحياء يضيف بعداً جديداً للنحو العربي ويظهر أن النظريات الحديثة لا

تكتفي بنقده بل تستفيد من عمقه التحليلي، مما يعد تطورا إيجابيا للنحو. ومن جهة أخرى فإن المناهج الحديثة تعيد صياغة الأفكار النحوية العربية ضمن إطارها الخاص، مثل الأثر و المضمّر، في نظرية تشومسكي، مما قد يفرض قيودا على فهم النحو العربي وفق أصوله التراثية. مما يؤدي إلى تغييب روح النحو العربي الأصيلة.

3.1 سمات الاتجاه التحويلي في النحو العربي:

■ قضية الأصالة والفرعية: تعد هذه القضية من أبرز القضايا التي اهتم بها النحاة العرب، حيث ذكروا مجموعة من الأصول، وجعلوا ما يقابلها فروعا، "فقرروا أن المصدر أصل المشتقات، وأن النكرة أصل، والمعرفة فرع، وأن المفرد أصل للجمع، وأن المذكر أصل للمؤنث، وأن التصغير والتكبير يردان الأشياء إلى أصولها"¹⁸. أما تشومسكي فينظر إلى الأصالية على أنّها التركيب الباطن، أما الفرعية فهي التركيب السطحي. وهذا المصطلحان يعتبران من أقوى الركائز لدى التحويليين¹⁹.

وعليه، النحاة العرب اهتموا بتحديد العناصر اللغوية التي تعد "أصلا" وتلك التي تعد "فرعا". فالأصل هو العنصر الذي تشتق منه أو يُبنى عليه العناصر الأخرى. مثلا:

- المصدر هو أصل الكلمات المشتقة منه (مثل الفعل والاسم المشتق).
- النكرة (مثل: كتاب) تُعتبر أصلاً لأنها تشير إلى شيء محدد، والمعرفة (مثل: الكتاب) فرع لأنها تحدد الشيء.
- المفرد أصل للجمع، لأنّ الجمع يتطلب إضافة أو تغييراً في المفرد.
- المذكر أصل للمؤنث، لأنّ المؤنث غالباً ما يُضاف إليه علامة التأنيث.
- التصغير والتكبير يُرجع الأشياء إلى أصولها اللغوية. (هذه الأفكار مبنية على منطق التبسيط والاشتقاق في اللغة العربية).

أما عند تشومسكي تتمثل الأصالة والفرعية فيما يأتي:

- **التركيب الباطن:** هو الشكل العميق للجملة، ويظهر العلاقات النحوية الأساسية بين الكلمات. مثلا: في الجملة "الولد يأكل التفاحة"، التركيب الباطن يُظهر أن "الولد" فاعل، و"التفاحة" مفعول.
- **التركيب السطحي:** هو الشكل الظاهري للجملة الذي نراه أو نسمعه، بعد تطبيق القواعد النحوية والتحويلات. مثلا: الجملة "التفاحة يأكلها الولد" لها تركيب سطحي مختلف، لكن التركيب الباطن يعكس المعنى نفسه. (أفكار تشومسكي تنتمي إلى علم اللغة الحديث، وهي تُستخدم لفهم كيفية بناء الجمل في كل

اللغات، أما أفكار النحاة العرب فهي ضمن إطار اللغة العربية، حيث اعتمدوا على ملاحظات دقيقة حول طبيعة الكلمات وتطورها).

■ البنية العميقة عند بين الجرجاني وتشومسكي:

والمتنمّن في دعائم النظرية التشومسكية يجد أنّها لم تبعد عن قواعد النحو؛ ومن أدلة ذلك أنّ شيخنا عبد القاهر الجرجاني قد سبق تشومسكي أنصاره بزمان سحيق إلى تحديد الفروق الدقيقة بين العميق وغير العميق من عناصر الجملة؛ إذ فرّق بين النظم والترتيب والبناء والتعليق؛ فجعل النظم لمعان في النفس. وذلك ينطبق مع ما قال به تشومسكي من مفهوم البنية العميقة، والبناء عند الجرجاني يُطابق البنية السطحية الحاصلة بعد الترتيب بواسطة الكلمات، كما أنّ التعليق هو الجانب الدلالي من هذه الكلمات التي في السياق²⁰.

■ **رؤية الجرجاني: عبد القاهر الجرجاني:** في كتابه الشهير دلائل الإعجاز، قدّم مفهوم النظم، وهو ترتيب الكلمات والجمل بطريقة تعكس المعاني الموجودة في النفس. فرّق بين عدة عناصر: النظم، يتعلق بالمعنى الداخلي الذي يحكم تركيب الجملة. الترتيب والبناء، يُشير إلى ترتيب الكلمات وفق قواعد اللغة. التعليق، يُشير إلى المعنى الدلالي الناتج عن العلاقات بين الكلمات في الجملة.

■ **تشومسكي ونظريته:** تشومسكي قسّم الجملة إلى بنية عميقة (المعنى الداخلي أو العلاقات النحوية الأساسية) وبنية سطحية (الشكل الظاهر للجملة كما نقرأها أو نسمعها). البنية العميقة عند تشومسكي تُشبه ما أشار إليه الجرجاني بـ "النظم"، حيث أن الجملة تُبنى على أساس العلاقات والمعاني. البنية السطحية تتطابق مع مفهوم الجرجاني لـ "البناء والتعليق"، حيث الكلمات تُرتّب لتعكس المعنى الظاهر.

وعليه، نتأكد من التقدم الكبير الذي أحرزه علماء اللغة العرب، حيث أن الجرجاني قدّم تحليلاً عميقاً للجمل والمعاني قبل ظهور النظريات الحديثة بقرون. يُبرز النص كيف يمكن للتراث العربي أن يكون أساساً لمقارنة الأفكار اللغوية العالمية وتطورها. ومع ذلك، يجب مراعاة أن كل من الجرجاني وتشومسكي عمل في سياق مختلف، فالأوّل ركّز على بلاغة اللغة العربية، والثاني على اللغة كظاهرة إنسانية عامة.

مفهوم اللغة عند كل من تشومسكي وعبد القاهر الجرجاني يأخذ شكلاً عميقاً، وهذا الشكل العقلي هو الذي جعلهما يعتمدان النحو التقليدي لإدراك قيمة الإمكانات التركيبية التي يتيحها النحو. وينظر كل من تشومسكي والجرجاني إلى المعايير المجردة في اللغة من خلال الفرد الذي يتعامل بها في شكل تعبير خلّاق، إذ القواعد اللغوية ترجع في حقيقتها إلى كل من العقل الداخلي والمنطق عند تشومسكي، وإلى الكلام النفسي عند الجرجاني. وهذا الطرح لتشومسكي يرجع إلى نظريته العامة للطبيعة الإنسانية واتصالها بالحرية الفردية، بينما يُعزى طرح الجرجاني إلى فلسفة دينية تتصل بقدرات الإنسان في الكلام ومقارنتها بالقدرة الإلهية²¹.

يناقش النص السابق ثلاثة أفكار رئيسية:

- **الشكل العقلي للغة:** تشومسكي، يرى أنَّ اللغة نابعة من العقل البشري وهي جزء من الطبيعة الإنسانية، حيث يعتمد على العقل الداخلي والمنطق، وتظهر كقدرة فطرية في بناء الجمل. أمَّا الجرجاني ركز على مفهوم "الكلام النفسي"، حيث ترتبط اللغة بالمعاني الموجودة في النفس، وتعتمد على عملية عقلية تنظم الكلمات لتوصيل الفكرة.
- **النحو كأداة للإبداع:** كلاهما اعتبرا النحو وسيلة لفهم الإمكانيات التركيبية للغة. الجرجاني، النحو يعكس "النظم"، أي العلاقات الداخلية بين الكلمات التي تخلق المعنى. تشومسكي، النحو يعكس البنية العميقة للجمل، ويظهر كيف يمكن للعقل تحويل الأفكار إلى أشكال لغوية.
- وعليه، النص يظهر تشابهاً جوهرياً بين تشومسكي والجرجاني، على الرغم من الفارق الزمني والثقافي الكبير بينهما. كلاهما يؤكد أن اللغة ليست مجرد كلمات أو جمل، بل هي عملية تنبثق من أعماق النفس البشرية. مما يعكس غُمق الفكر العربي التراثي، حيث سبق الجرجاني بتقديم مفاهيم لا تزال تتقاطع مع النظريات الحديثة.

النتائج:

في ختام هذا الموضوع، يتبين أنَّ:

رؤى الدارسين العرب للنحو القديم قد تنوعت بين القدامى والمحدثين. فقد ركز القدامى على النحو المعياري بوصفه أداة للحفاظ على لغة القرآن الكريم، معتمدين على منهج استقرائي يهدف إلى ضبط القواعد، بينما حاول المحدثون تقديم رؤى تحليلية أكثر مرونة، مستفيدين من التطورات العلمية والمنهجية في دراسة اللغة. بالمقابل، جاءت المناهج اللسانية الحديثة، وخاصة النظرية التوليدية التحويلية، لتطرح رؤية جديدة تتجاوز الوصف الظاهري للغة، متوجهة إلى الكشف عن القواعد العميقة التي تولد منها الجمل.

رغم الاختلاف بين هذه المناهج، يمكن ملاحظة بعض أوجه التشابه، مثل التركيز على القواعد كأساس لفهم بنية اللغة وتحليلها، وإن اختلفت وسائلهم وأهدافهم. فالقدامى ركزوا على المعايير النحوية الثابتة، بينما سعت النظرية التوليدية إلى كشف الآليات العقلية التي تُسبب إنتاج اللغة.

يتضح أنَّ التفاعل بين النحو التقليدي والمناهج الحديثة يعكس ضرورة مراجعة التراث النحوي في ضوء التطورات العلمية، وخاصة النظرية التوليدية، في تسليط الضوء على مستويات أعمق للغة، بعيداً عن النمطية التي

طبعت التحليل النحوي القديم. ومع ذلك، فإن محاولة توظيف هذه النظريات في دراسة النحو العربي تواجه تحديات، تتمثل في الحفاظ على أصالة القواعد العربية دون إهمال الأدوات التحليلية الجديدة. لذا، فإن هذا الموضوع يدعو إلى توازن بين التراث والحداثة، بحيث يكون النحو العربي جزءاً من الإسهام العالمي في دراسة اللغة، دون أن يفقد جذوره الأصلية. ويبقى السؤال مفتوحاً حول كيفية تحقيق هذا التوازن بما يضمن تطوير الدراسات النحوية في المستقبل.

الهوامش:

- ¹ بلقاسم دفة، النحو العربي بين التقليد والمناهج اللسانية الحديثة، الأثر مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، مارس 2006م، ع05، ص68.
- ² أبي الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب، د.ط، 2006م، 34/1.
- ³ فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، القاهرة، ط01، 2000م، 5/1.
- ⁴ أنطوان صياح، تعليمية اللغة العربية، دار النهضة العربية، ط02، 2008م، 117/1.
- ⁵ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط05، 1975م، ص13.
- ⁶ طه حسين، محاضرة في دمشق، مطبوعات الإدارة الثقافية، بجامعة الدول العربية، المؤتمر الأول للمجامع اللغوية.
- ⁷ ينظر: محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب للطباعة، القاهرة، دط، 2001م، ص169-170.
- ⁸ هشام بن حليم، الأبعاد اللسانية الحديثة في الدرس النحوي العربي القديم، مجلة صوتيات، ديسمبر 2018، مج20، ع03، ص677.
- ⁹ نصر الدين بوحسين، مدخل إلى اللسانيات التطبيقية، دار الأمل، الجزائر، دط، دت، ص116.
- ¹⁰ حلول التوهامي، التراث النحوي واللسانيات، مجلة الباحث، مج11، ع01، ص111-112.
- ¹¹ كريم الخالدي، هويتنا العربية في اللسانيات ومناهجها، دار دجلة، الأردن، ط01، 2019م، ص48.
- ¹² السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدله، تح: محمود فجال، النادي الأدبي بأبجما، ط01، 1409هـ، ص162.
- ¹³ ابن جني، الخصائص، 5/2.
- ¹⁴ عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1979م، ص109.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص111.
- ¹⁶ المرجع نفسه، ص115.
- ¹⁷ البهناوي حسام، أهمية الربط بين التفكير اللغوي ونظريات البحث اللغوي الحديث، دط، 1979م، ص115.
- ¹⁸ علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، سلسلة كتب شرعية، دط، 1986م، ص43.
- ¹⁹ صالح سليم عبد القادر الفاعري، تصريف الأفعال والمشتقات والمصادر، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، دط، 2008م، ص12.
- ²⁰ محمد عبد المطلب، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، مجلة فصول، 1984م، مج05، ع12، ص31.
- ²¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص407.

المراجع:

(1) الكتب:

1. أبي الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب، د.ط، 2006م، 34/1.
2. فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر، القاهرة، ط01، 2000م، 5/1.
3. أنطوان صياح، تعليمية اللغة العربية، دار النهضة العربية، ط02، 2008م، 117/1.
4. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط05، 1975م، ص13.
5. محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غرب للطباعة، القاهرة، دط، 2001م، ص170.
6. نصر الدين بوحسايين، مدخل إلى اللسانيات التطبيقية، دار الأمل، الجزائر، دط، دت، ص116.
7. السيوطي، الاقتراح في أصول النحو وجدله، تح: محمود فجال، النادي الأدبي بأبها، ط01، 1409هـ، ص162.
8. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1979م، ص109.
9. البهنساوي حسام، أهمية الربط بين التفكير اللغوي ونظريات البحث اللغوي الحديث، دط، 1979م، ص115.
10. علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، سلسلة كتب شعرية، دط، 1986م، ص43.
11. صالح سليم عبد القادر الفاخري، تصريف الأفعال والمشتقات والمصادر، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، دط، 2008م، ص12.
12. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص407.

(2) المقالات:

- محمد عبد المطلب، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، مجلة فصول، 1984م، مج05، ع12، ص31.
- جلول التوهامي، التراث النحوي واللسانيات، مجلة الباحث، مج11، ع01، ص111-112.
- هشام بن حليلة، الأبعاد اللسانية الحديثة في الدرس النحوي العربي القديم، مجلة صوتيات، ديسمبر 2018، مج20، ع03، ص677.
- طه حسين، محاضرة في دمشق، مطبوعات الإدارة الثقافية، بجامعة الدول العربية، المؤتمر الأول للمجامع اللغوية.
- كرّم الخالدي، هويتنا العربية في اللسانيات ومناهجها، دار دجلة، الأردن، ط01، 2019م، ص48.
- بلقاسم دفة، النحو العربي بين التقليد والمناهج اللسانية الحديثة، الأثر مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، مارس 2206م، ع05، ص68.